المكانة الفردية والأخلاقية للمرأة في الفكر الإسلامي من وجهة نظر تفاسير القرآن الكريم

د. عليرضا الطبيبى
الاستاذ بكلية المعارف و الفكر الاسلامى جامعه طهران
د. فاطمه دست رنج
كلية العلوم الانسانية / جامعة اراك الحكومية

The individual and moral status of women in Islamic thought from the point of view of interpretations of the Holy Quran

Dr. AliRedha tabibi
Professor at the Faculty of Knowledge and Islamic Thought, University of Tehran
Dr. Fatima Dast Ring
Faculty of Humanities / Arak State University
Email: tabibi.alireza@ut.ac.ir

ملخص البحث

اعترف الإسلام بجهود المرأة وأنشطتها الاقتصادية ، وعدّها مقصورة فقط على مراعاة حدود الشريعة والكرامة الاجتماعية للمرأة، على سبيل المثال ، حول سيدة طلبت مرارًا وتكرارًا رأي الرسول ﷺ في قضايا حياتها المهنية ، وطرحت عليه تساؤلات حول صحة مهنتها ونالت الرد عليها ، والرسول الكريم ﷺ لم يطلب منها الانسحاب ، ولم يجبروها على ترك وظيفتها ومهنتها ، وإنّ الإسلام يرى حاجة المرأة لمهنة ، أو وجودها في المجتمع مفيد وضروري ، يتعرف على وجودها ، مثل وجود حضرة الزهراء عليها السلام في حرب الأحزاب ، والنساء مثل نسيبة في خط المواجهة، إنّ ما يطلبه كل إنسان عاقل ومفكر من مُثل وأمنيات ، هو أن تكون شخصيته محترمة ولا يُساء إليها ، وأنّ حريته وحسن تقديره معترف بهما ، والإسلام يعترف بكل هذا لحماية كرامة المرأة ، فقد ردّ الإسلام للمرأة المسروقة حقّها، وأنقذها من ظلم الآباء والأخوة والأزواج الظالمين ، مقارنة بأدوار وواجبات الرجل ، فقد أوكلت جميع أدوار وواجبات المرأة إليها بحكمة وبراعة كاملة ، وبنهج لقدرات المرأة وطبيعتها وروحها ، تريد إزالة العبء الثقيل للمسؤوليات الثقيلة عن كاهلها ، حتى صعوبة الواجبات والمسؤوليات مع أدوار وواجبات ومسؤوليات المرأة ، وهو أمر مرغوب فيه لنفسها واحتياجات الأسرة، يجب ألّا يكون هناك صراع ، ويمكن للمرأة التي لديها فكر أن تحافظ على مركز المنزل منتعشًا ومهدئًا مع وجود ثمرته ، وفي ضوء هذا السلام ، يمكن لزوجها وأطفالها أيضًا أداء واجباتهم ومسؤولياتهم وأدوارهم بشكل أفضل.

الكلمات المفتاحية: قرآن، تفسير، مجتمع، مرأة.

Abstract

Islam recognized women's efforts and economic activities and considered them limited only to observing the limits of Sharia and the social dignity of women. For example, Hawla, a woman who repeatedly requested the services of the Messenger, may God bless him and his family and grant them peace, in issues of her professional life and asked him questions about the validity of her profession and he received a response to them, and the Holy Prophet. He did not ask her (may God bless him and his family) to withdraw, and they did not force her to leave her job and profession, and whenever Islam sees a woman's need for a profession or her presence in society as useful and necessary, it recognizes her presence. Such as the presence of Hazrat Zahra, peace be upon him, in the war of parties and women like Nusseibeh in the front line. What every person demands, ideals, and wishes for every sane and thinking person is that his personality be respected and not abused, and that his freedom and good judgment are recognized, and Islam recognizes all of this to protect the dignity of women. Islam's response to the stolen woman; Save him from the oppression of unjust fathers, brothers

and husbands. Compared to the roles and duties of men, all the roles and duties of women have been entrusted to women with complete wisdom and dexterity and with an approach to women's abilities, nature and spirit. She wants to remove the heavy burden of heavy responsibilities from Rehana Hasti, even the difficulty of duties and responsibilities with the roles, duties and responsibilities of women, which is desirable for herself and the needs of the family, there must be no conflict, and women with a more relaxed mind can keep the center of the house fresh And soothing with the presence of his fruit, and in the light of this peace, her husband and children can also better fulfill their duties, responsibilities and roles.

Keywords: Quran, interpretation, society, woman

مقدمة

لقد تنوَّعت مكانة المرأة عبر الحضارات، فبعضها لم يعترف بمكانة المرأة ، أو دورها في الحياة عمومًا، وبعضها الآخر جعل لها مكانة بسيطة في الحياة وأدوارًا محددة، بينما منحتها حضارات أخرى مكانة مرموقة، واعترفت بتأثيرها في شتى ميادين الحياة "مع مرور الزمن" سواء منها الاجتماعية ، أو السياسية ، أو الاقتصادية ، أو الثقافية.

إنَّ تقدم ورقيّ المجتمع مرهون بتقدّم ورقي المرأة ، وبالتالي فإنّ تخلف وانحدار أوضاع المجتمع مرتبط ارتباطًا وثيقًا بتخلف وانحدار أوضاع المرأة ، وبالتالي لا يمكن لمفكر ما أن يقيِّم أوضاع مثل (العدالة الإنسانية) ، و(تماسك وقوة المجتمع) بشكل مستقل عن رصد أوضاع المرأة وتحليلها في المجتمع.[1]

ففي الهند لم تعترف شريعة «مانو" بأنّ للمرأة حقًّا مستقلًا عن حق أبيها ، أو زوجها، أو ولدها عند وفاة الأب أو الزوج، فضلًا عن نكران حقها في استقلال حياتها عن حياة زوجها، إذ وجب عليها الموت عند وفاة زوجها وأن تُحرَق معه في ذات الموقد، أما شريعة حمورابي "التي اشتهرت بها بابل" فكانت تعد المرأة في عداد الماشية المملوكة ، في حين كانت المرأة "عند اليونانيين القدماء" مسلوبة المكانة والحرية في كل ما يتعلق بالحقوق الشرعية، حيث خلت مجالس الفلاسفة من جنس المرأة، ولم تشتهر منهم امرأة نابهة، إلى جانب الشهيرات من الغواني أو الجواري الطليقات ، ولم تتحرر المرأة الرومانية من قيودها إلّا عندما تحرر منها الأرقاء؛ نتيجة عصيان إثر عصيان، وثورة بعد ثورة، فاستعصى عليهم استرقاق المرأة والجارية والغلام.[2]

وقد تمتعت المرأة "في الحضارة الفرعونية" بحقوق لم تتسنى لمثيلاتها في الحضارات الأخرى، إذ وصلت إلى الحكم، وتحدثت عنها الأساطير، كما كانت لها سلطة قوية على

(١) مكانة المرأة في القرآن الكريم والسُنَّة الصحيحة: الحقوق السياسية والاجتماعية والشخصية للمرأة في المجتمع الإسلامي، بلتاجي، محمد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر-القاهرة، ٢٠٠٠م، ٢٣.

(٢) المرأة في القرآن، العقاد، عباس محمود، مؤسسة هنداوي للنشر، الولايات المتحدة، ١٩٥٩، ٥٠-٥١.

إدارة الحقل والمنزل وانتقاء الزوج، كما كان الفراعنة يضحون غالبًا بأجمل الفتيات كقربان لإرضاء الآلهة.(١)

وكانت المرأة "في الديانة اليهودية المحرفة" مصدر اللعنة والإثم ، حيث رمت التوراة عليها إثم غواية آدم وإخراجه من الجنة.(٢)

كما كانت ولادة الأنثى "عند الفرس" تسبب الحسرة واللوعة ؛ لأنهم يربونها لمنزل رجل آخر يستفيد منها، بينما لا يستفيد منها والدها شيئًا.(٣)

أمّا الأب الصيني، فكان إذا رُزِقَ بأنثى، أخذها للسوق وعرضها للبيع بأبخس ثمن، وإن لم يشتريها أحد، وهبها لأول عابر سبيل دون مقابل، أو قام بقتلها خنقًا ، أو إغراقها، أو وأدها في التراب، وإن لم يستطع التخلص منها، فإنّه يقوم بتشويه قدميها كي لا تخرج من المنزل، وتكون تحت الوصاية الدائمة من زوجها ، أو ابنها، أو من رجل من أقارب زوجها.(٤)

أمّا الإسلام، فقد جاء لرفع الظلم عن الإنسان، ووضع التشريع العادل المنصف لكل الناس، حيث ساوى بين الرجل والمرأة، وحفظ حقوق المرأة التي ضاعت منها، وأعاد لها اعتبارها، حيث أثبت الإسلام للمرأة عدة قواعد ومبادئ تضمن لها العيش بأمان وسكينة، كالحق في الميراث، والمعاشرة بالمعروف والإحسان، وحق التعليم والتفقه في الدين، وغير ذلك من الحقوق.(٥)

(١) مكانة المرأة وواقعها قبل الإسلام ومقارنتها مع واقعها ومكانتها بعد الإسلام، من أعمال الملتقى الدولي الأول للسيرة النبوية الشريفة، أبو كشوة، مريم إبراهيم ، السودان-الخرطوم، ٢٠١٣، ١١.

(٢) مكانة المرأة في الحضارات القديمة، بورحلة، نوال، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع(٣١)، جامعة ورقلة، ٢٠١٧، ٩٨.

(٣) حقوق المرأة بين الإسلام وأهواء الغرب، النقى، أميمة محمد الحسن علي، معهد العلوم والبحوث الإسلامية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠١١، ٣.

(٤) المرأة والإسلام ، الخرسا، غادة، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ط١، ١٩٨٠، ٢١.

(٥) مكانة وواقع المرأة في الحضارات القديمة ومقارنتها مع واقعها في الإسلام، بصال، مالية ، مقال منشور في مجلة تافزا للدراسات التاريخية والأثرية، تيبازة، جامعة مرسلي عبدالله، ع(٠٠)، ٢٠٢١، ٢٦.

فقد كان للشرائع السماوية دور كبير في التخفيف عن المرأة ، ومحاربة الظلم الذي كان يقع عليها ، كما سنت الشريعة الإسلامية العديد من الأحكام الخاصة بالمرأة، فأوصت باللين والرفق في معاملتها، والعناية الشديدة بها، ومنحتها الأهلية الاقتصادية لتلقي التكليفات والحقوق أسوةً بالرجل، بعد أن كانت المرأة مصدر للعار والذل، ومدعاة للفقر، وأداة للمتعة والخدمة.(١)

١- رأي الإسلام في إحياء شخصية المرأة :

المرأة عبر التاريخ لديها قصة مليئة بالصعوبات والألم ، والتي تعدّ من أهم مواضيع اليوم، وبشكل عام يمكن تقسيم حياة المرأة إلى فترتين: أولًا ، عصر ما قبل التاريخ اليوم نمتلك بعض المعلومات الصحيحة عن وضع المرأة ، في تلك الفترة لم تكن في أيدينا ، وربما كان لها المزيد من الحقوق الطبيعية في تلك الفترة.

مع بداية تاريخ البشرية ، كان دور الفترة الثانية ، في هذه الفترة ، في بعض المجتمعات، تم الاعتراف بالمرأة كشخص غير مستقل في جميع الحقوق الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية ، واستمر هذا الوضع في بعض البلدان حتى القرون الأخيرة ، يمكن رؤية طريقة التفكير هذه حول المرأة حتى في ما يسمى بالقانون المدني التقدمي لفرنسا ، والذي يذكر العديد من المقالات التي تتحدث عن العلاقات المالية بين الأزواج.(٢)

في بيئة ولادة الإسلام ، أي الحجاز ، قبل مجيء الرسول الكريم ﷺ ، تمت المعاملة نفسها مع النساء كإنسان مستقل، وكان سلوكهن مشابهًا جدًا للإنسان شبه المتوحش؛ لأنّهم قد استخدموا النساء في وضع مخجل ومخزي في بيئتهم ، كان غير راغب وعديم القوة لدرجة أنّ تُعرَض أحيانًا للتأجير من أجل معيشتها ، الحرمان من الحضارة والمعاناة من الفقر جعلهم يعانون من عنف غريب كجريمة وأد البنات الشهيرة قد ارتكبوها.

(١) وضع المرأة في الفقه والتشريع، بلبع، عبد السلام، دراسة قدمت في الحلقة (١٥٠)، جامعة الدول العربية، ١٩٧٢، ١-٥.

(٢) الإعجاز التّمثيلي في آيات الوصف دراسة تحليلية، حسن رفاعي، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٩٤، ١ / ١٢٥.

نعم ، قبل الإسلام ، رأينا في التاريخ العربي أنّ النساء حُرمن حتى من أبسط حقوق الإنسان ، وأحيانًا لم يُمنحن حتى حق الحياة ، وبعد الولادة ، تم دفنهن أحياء. ﴿وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ﴾[1] إنه لأمر مرعب حقًا أن يدفن المرء جزءًا من جسده على قيد الحياة ويفخر به نعم ، إذلال النساء لم يكن فقط بين الجهلة العرب ، ولكن أيضًا بين المجموعات العرقية الأخرى وحتى أكثر الناس تحضرًا في ذلك الوقت ، كان للمرأة شخصية تافهة وغالبًا ما كانت تُعامل على أنّها سلعة.

مع ظهور الإسلام وتعاليمه الخاصة ، دخلت حياة المرأة مرحلة جديدة بعيدة عن المرحلتين السابقتين ، لقد ظهر الإسلام وحارب بعناد هذه الخرافة بأبعادها المختلفة ، وقدم إنجاب البنت رحمة الله على الأسرة ، وكان النبي صلى الله عليه و آله وسلم يقبّل يد ابنته فاطمة ﷺ بكل ما له من سلطة وكان يزورها إذا رجع من سفره.[2]

قال النبي صلى الله عليه و آله وسلم: «نعم الولدُ البنات، ملطفات، مجهزات، مونسات، مقليات" يعدّ الإسلام المرأة مستقلة، وحرة مثل الرجل بكل معنى الكلمة ، ولم يحدث أي فرق بين الرجل والمرأة من حيث امتلاك روح وإرادة إنسانية كاملة.[3]

كرامة ومكانة المرأة في آيات القرآن :

يمكن الاستفادة من العديد من القضايا المتعلقة بكرامة المرأة ومكانتها من القرآن الكريم ، ومنها:

إذ يقول القرآن الكريم عن هذا:

أ- ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمَتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَتِ وَ الْقَنِتِينَ وَ الْقَنِتَتِ وَ الصّدِقِينَ وَ الصّدِقَتِ وَ الصّبِرِينَ وَ الصّبِرَاتِ وَ الْخَشِعِينَ وَ الْخَشِعَتِ وَ الْمُتَصَدّقِينَ وَ الْمُتَصَدّقَتِ وَ الصّئِمِينَ وَ الصّئِمَتِ وَ الحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحَفِظَتِ وَ الذّاكِرِينَ اللهَ

(١) سورة النحل، الآية : ٥٨
(٢) من وحي القرآن ، فضل الله، ٤ / ٦٣٢
(٣) جمال المرأة وجلالها، آملي، جوادي، ٢٢٠.

كَثِيرًا وَ الذّاكِرَاتِ أَعَدّ اللهُ لهَم مّغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.[1]

يروي المعلقون الشيعة والسنة على كرامة نزول هذه الآية هذه القصة : أنّ أم سلمة جاءت ذات يوم للنبي الكريم صلى الله عليه و آله وسلم وقالت: لماذا توجد آيات عن الرجال في القرآن الكريم و لكن لا شيء عن النساء؟ وبعد ذلك أنزل الله تعالى هذه الآية وقال إنّ الرجال والنساء متساوون في القرب والكرامة ، من المهم أن يكون لديهم الجدارة من حيث المعتقدات والأخلاق.

توضح هذه الآيات أنّ الرجال والنساء مثل كفتي الميزان ، ويعطي الله نفس الأجر لكليهما دون أدنى فرق.

على الرغم من أن بعض الناس يعتقدون أنّ المنافع الثقيلة للرجال ، إلّا أن النساء ليس لديهم الكثير من المكان! لكن بلا شك لا فرق بينهما من حيث الجوانب الإنسانية والسلطات الروحية ، وإذا كان هناك اختلاف فهو في المادية والروحية ... وهذه الاختلافات ضرورية لاستمرار المجتمع البشري النظام ، وهناك آثار وعواقب في بعض القوانين الشرعية الخاصة بالمرأة ، وبخلق الرجل.[2]

ب- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون ﴾.[3]

وفقًا لهذه الآية ، فإنّ معايير الحصول على حياة جيدة ليست أشياء مثل الاختلافات في الجنس، أو العرق والمرتبة الاجتماعية ، ولكن المعيار الحقيقي الوحيد هو الإيمان والعمل الصالح.

تنص هذه الآية في الواقع على أنّ أولئك الذين ظنّوا أن المرأة أقل منزلة من الرجل تثبت أنّ الإسلام ليس دين الناس ، بدلًا من ذلك ، إذا ساروا في طريق الله الصحيح ، فسيتمتع

(١) سورة الأحزاب، الآية : ٣٥
(٢) جمال المرأة وجلالها، آملي، جوادي، ط١، دار الهادي، بيروت-لبنان، ١٩٩٤، ١٢٩.
(٣) سورة النحل، الآية : ٩٧

كلاهما بنفس القدر بحياة جيدة وسيستفيدان من المكافأة المتساوية في حضور الله.

ج- ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ إِنّ اللهَ عَليمٌ خَبيرٌ﴾.[1]

في هذه الآية وضع الرجال والنساء بجانب بعضهم البعض ، ولم يفرّق الله تعالى بينهما من حيث الأجر ، بل إنّ القلم الأحمر يستمد كل المزايا الخارجية والمادية ، ويضفي أصالة وواقعية على مسألة التقوى.[2]

تعبر هذه الآيات عن حقيقة أنّ الرجال والنساء يشتركون في الطبيعة البشرية نفسها بغض النظر عن العرق والجنس، وهذا يعني أنّه مثلما يتمتع الرجال بمواهب مختلفة ويمكنهم إدراك هذه المواهب بشكل طبيعي ، فإنّ النساء أيضًا لديهن هذه المواهب دون أي نقص ويمكنهن إدراك هذه المواهب بمعنى آخر ، الرجال والنساء متساوون في طبيعة معرفة الله ، واكتساب المعرفة ، والوصول إلى القرب من الله والمواهب الأخرى ، ولديهم القدرة على تحقيق الكمال والوصول إلى المستوى النهائي للإنسانية.

٢- مكانة المرأة في النظرة الإسلامية :

وقد عَدَد القرآن الكريم صفات فريدة للمرأة منها:

عن هذا يقول الله تعالى:﴿نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنىَ شِئْتُم﴾[3] إنّ وجود مثل هذا المنصب للمرأة جعل مسؤوليتها وواجبها ثقيلًا جدًا في المرتبة البشرية لدرجة أنّه نظرًا لوجود مثل هذا المنصب المتميز ، فإنّ حضن المرأة هو مدرسة إضفاء الطابع الإنساني وهي مدرس هذه المدرسة البشرية نفسها .

عدّ الله تعالى المرأة مصدر السلام في الحياة في عدة آيات: ﴿مِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا﴾[4]. في هذه الآيات ، قدم الله تعالى خلق النساء ، وهو

(١) سورة الحجرات، الآية : ١٣
(٢) من وحي القرآن ، فضل الله ، ٨ / ٥٢٣
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٣
(٤) سورة الروم، الآية : ٢١

مصدر راحة للحياة ، كإحدى آياته ، وبالفعل فإنّ وجود الأزواج بهذه الصفات يعدّ من أعظم عطايا الله للبشر ، وهو مصدر سلام في الحياة ، وإذا فكر المرء في الأمر ، فسوف يدرك أنّ هذين الجنسين يكملان بعضهما البعض ، وأنّهما مصدر رخاء وحيوية ونماء لبعضنا البعض، وهي المرأة ، مما يحافظ على مركز الأسرة دافئًا ومبهجًا ويسبب نمو الإنسان وكماله، نعم، دعا الله تعالى زوجة المرء آية له ، وعدّ وجودها ساكنًا ، وهذا في حد ذاته يدل على ميزة خاصة موجودة في المرأة.(١)

ومن السمات الخاصة الأخرى للمرأة التي أعطتها مظهرًا إنسانيًا ورحيمًا هي كرامة الأمومة ، يقول الله تعالى في هذا الصدد: ﴿وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ كُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً ...﴾(٢) ، في هذه الآية ، يتم التأكيد على ضرورة معرفة الحق قبل الأم ، إنّ مسألة كون المرء لطيفًا مع الوالدين هو أحد المبادئ الإنسانية المهمة التي حتى أولئك الذين لا يلتزمون بالمعتقدات الدينية يحترمون والديهم بشكل طبيعي ؛ لذلك وبحسب أمر الله ، يجب القيام بالأعمال الصالحة العظيمة والمميزة أمام خدمات الوالدين العظيمة ، ومعنى هذا الموضوع عند الله تعبيرا عن امتنانه لجهود الأم وحبها الأمومي.(٣)

نتيجة لذلك ، يمكن للمرأة أن تلعب دورًا كبيرًا في خلق السلام والحب في الحياة، ودورحمل جنين سليم وتربية الأطفال بشكل صحيح في الطريق الإلهي، ولهذا يؤكد الإسلام على بقاء المرأة في موقعها الإنساني العظيم.

(١) الآيات التي عرضت شخصيّة المرأة في سورة القصص دراسة بيانيّة، سناء أبو صعيليك، مجلة جامعة النّجاح، مج٣٤، ع١١، ٢٠٢٠، ٢١٩.
(٢) سورة الاحقاف، الآية : ١٥
(٣) من وحي القرآن ، فضل الله، ٩ / ٥٧٤

٣- امتيازات مكانة المرأة

يعدد القرآن الكريم خصائص فريدة للمرأة ، منها ما يلي:

يقول الله تعالى في هذا الصدد: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنىَ شِئْتُم ﴾[١] ، هنا شبّهت المرأة بمزرعة ، وهذه المقارنة قد تكون ثقيلة على البعض ، فلماذا جعل الإسلام مثل هذا التفسير لنحو نصف البشرية؟ في حين أنّ هناك نقطة خفية مخفية في هذا التشبيه ، إلّا أنّ القرآن يريد في الواقع إظهار ضرورة وجود المرأة في المجتمع البشري ، وهي أنّ المرأة ليست وسيلة لإطفاء شهوة الرجل ، بل وسيلة للحفاظ على شهوة الرجل و حياة البشر ، هذا البيان أمام من هم يُعدّ تحذيرًا من معاملة المرأة كلعبة أو أداة.

إن وجود مثل هذا المنصب للمرأة جعل مسؤوليتها وواجبها في المرتبة البشرية ثقيلًا للغاية لدرجة أنها إذا تخلت عن واجبها الإنساني رغم هذا الموقف ، فإنها ستصبح أساس الفساد الأخلاقي وإذا تولت مسؤولية الحق في هذا المنصب العظيم ، وقد ضمن السعادة الشخصية والاجتماعية لوجود مثل هذا المنصب المتميز ، حضن المرأة ، مدرسة الإنسانية، وهو هو نفسه مدرس هذه المدرسة الإنسانية نعم ، رحم المرأة المتدينة هو الحقل المناسب لتربية الإنسان الإلهي.

وجعل الله تعالى المرأة مصدر السلام في الحياة في عدة آيات: ﴿ مِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا ﴾.[٢]

في هذه الآيات قدم الله تعالى خلق النساء ، وهو مصدر راحة للحياة ، كإحدى آياته، وبالفعل فإنّ وجود الأزواج بهذه الصفات هو من أعظم عطايا الله للبشر ، وهو مصدر السلام في الحياة ، وإذا فكر المرء في الأمر ، فسوف يدرك أنّ هذين الجنسين يكملان بعضهما البعض ، وهما مصدر ازدهار وحيوية بعضنا البعض ، وهي المرأة مما يجعل مركز الأسرة

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٣

(٢) سورة الروم، الآية : ٢٢١

دافئًا ومبهجًا ويسبب نمو الإنسان وكماله.[1]

نعم ، دعا الله القدير زواج المرأة آية له ، واعتبر وجودها سكونًا. وهذا في حد ذاته يشير إلى ميزة خاصة توجد في المرأة.

ومن السمات الخاصة الأخرى للمرأة التي أعطتها مظهرًا إنسانيًا ورحيمًا هي كرامة الأمومة ، يقول الله تعالى في هذا الصدد: ﴿ وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ كُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً ﴾.[2]

إنّ مسألة كون المرء لطيفًا مع الوالدين هو أحد المبادئ الإنسانية المهمة حتى أولئك الذين لا يلتزمون بمبدأ ديني يحترمون والديهم بشكل طبيعي، لذلك وبحسب أمر الله ، يجب القيام بالأعمال الصالحة العظيمة والمميزة أمام خدمات الوالدين العظيمة.[3]

ومعنى هذا الموضوع عند الله تعبيرا عن امتنان الأم لجهودها وحبها الأمومي ، ورد في الحديث أن رجلًا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: «مَن اَبَر؟ قال امُك قال ثُمَّ مَن؟ قال: امّك. قال: ثُمَّ مَن؟ قال: امّك ، قال: ثُمَّ مَن؟ قال: اباك".

نتيجة لذلك ، يمكن للمرأة أن تلعب دورًا كبيرًا في خلق السلام والمحبة في الحياة ، ودور بتربية الأطفال بشكل صحيح في الطريق الإلهي ؛ ولهذا يؤكد الإسلام على بقاء المرأة في موقعها الإنساني العظيم.

لكن الجزء الأول : القرآن ليس مجرد مجموعة قوانين، إنّ محتويات القرآن ليست مجرد سلسلة من القواعد والأنظمة الجافة بدون تفسير ، فالقرآن ، هو قانون ، وتاريخ ، ووعظ، وتفسير للخليقة وآلاف الأشياء الأخرى ، القرآن ، بنفس الطريقة التي يعطيها في بعض الحالات تعليمات في شكل القانون ، وفي أماكن أخرى يفسر الوجود ، وسر خلق الأرض والسماء والنبات والحيوان والإنسان ، وسر الموت والأرواح والشرف والإذلال والتقدم

(١) الآيات التي عرضت شخصيّة المرأة في سورة القصص دراسة بيانيّة، سناء أبو صعيليك، ٢٢٤.
(٢) سورة الاحقاف، الآية : ١٥
(٣) من وحي القرآن. فضل الله، ٢ / ٢٣٥

والانحطاط ، ويعبر عن الغنى والفقر.

القرآن ليس كتاب فلسفة ، لكنه عبّر بشكل حاسم عن رأيه في العالم والإنسان والمجتمع- وهي الموضوعات الأساسية الثلاثة للفلسفة ، لا يعلّم القرآن أتباعه الشريعة فقط ، ولا يكتفون بالوعظ والنصح ، بل يمنح أتباعه أيضًا طريقة خاصة في التفكير والنظرة إلى العالم عن طريق تفسير الخلق ، أساس اللوائح الإسلامية حول الشؤون الاجتماعية مثل الملكية والحكومة وحقوق الأسرة وما إلى ذلك هو تفسير الخلق والأشياء.[١]

ومن الأمور التي شرحها القرآن الكريم خلق الرجال والنساء. لم يظل القرآن صامتًا في هذا الصدد ولم يمنح كويان فرصة لخلق فلسفة للقواعد المتعلقة بالرجال والنساء ولتقديم أساس هذه القواعد إلى نظرة الإسلام المهينة للمرأة. لقد سبق للإسلام أن أعرب عن رأيه في المرأة.[٢]

٤- رأي القرآن في خلق الرجل والمرأة :

إذا أردنا أن نرى ما يعتقده القرآن في خلق الرجال والنساء ، فمن الضروري الانتباه إلى قضية طبيعة الرجل والمرأة ، والتي تمت مناقشتها أيضًا في الكتب الدينية الأخرى ، كما أنّ القرآن لم يسكت عن هذه القضية ، فعلينا أن نرى ما إذا كان القرآن يعدّ الرجل والمرأة طبيعة واحدة أم طبيعتان ، أي هل للرجل والمرأة الطبيعة نفسها أم لهما طبيعتان؟ يذكر القرآن بوضوح في عدة آيات أننا خلقنا نساء من رجال ومن طبيعة مشابهة لطبيعة الرجال ، يقول القرآن عن آدم الأول: ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾[٣]، ويقول عن كلّ الناس: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[٤]

(١) من وحي القرآن ، فضل الله، ٤ / ٢٣٤

(٢) البرهان في تفسير القرآن، السّيد هاشم البحراني، تحقيق: لجنة من العلماء، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٦، ١ / ٢١٤.

(٣) سورة النساء ، الآية : ١

(٤) سورة الروم، الآية : ٢١

في القرآن ، مما في بعض الكتب الدينية ، خلقت تلك المرأة من مادة أدنى من الرجل ، أو أنّ المرأة أعطيت مظهرًا طفيليًا ويسارًا ، وقالت إنّ زوجة آدم الأولى خلقت من عضو جانبه الايسر الشغل ولا خبر.

من أبسط الأفكار التي أكد عليها الإسلام المساواة في حقوق الإنسان بين المرأة والرجل، وهو تفسير ورد في النصوص الدينية بأنساق مختلفة ، ومن بينها هذه الآية المشرفة من القرآن الكريم. التي قالها الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللهَ عَليمٌ خَبيرٌ﴾.(١)

في هذه الآية المشرفة ، أدخل الله التنوع في الجنس والعرق باعتباره السبب الوحيد لجمال الحياة والتنوع في العلاقات الدنيوية ، ومعيار التفوق هو فقط تحقيق الفضائل الأخلاقية والروحية ، ولا فرق بين الرجال و النساء في هذا المعيار.(٢)

لذلك ، نلاحظ في كثير من الأحيان أن النساء عبر تاريخهن بجهودهن حققن نجاحًا غير ممكن لكثير من الرجال والنساء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم وحتى جعلهم الله نموذجًا. ويمكن الرجوع إلى هذه الآية الكريمة التي تقول:

﴿ وَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَ نَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَ صَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَ كُتُبِهِ وَ كَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾(٣)

يمكننا أن نفهم بشكل أفضل أهمية وجمال هذا التركيز الديني عندما نفكر مليًا في موقف نزول هذه التفسيرات ؛ وقد تم التأكيد على هذه الآيات التي تؤكد على تأثير مكانة المرأة ومكانتها ، بطريقة واقعية وجادة عندما تعرضت المرأة للإذلال التام لدرجة أن الله ذكر مكانة المرأة بين العرب على النحو التالي: ﴿ وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا

(١) سورة الحجرات، الآية : ١٣
(٢) البرهان في تفسير القرآن، مج٢، ٢٢٠.
(٣) سورة التحريم ، الآيتان : ١١ ، ١٢

وَ هُوَ كَظِيمٌ ﴾[1]

ولسوء الحظ ، لم يكن هذا الرأي متعلقًا فقط بالعرب الجهلة ، ولكن أيضًا في أراضي إيران ، تم النظر إلى هذا الجنس النقي بطريقة مهينة ، إذ «كان يُنظر إلى النساء على أنهن مخلوقات يمكن أن تكون مثل نظيراتهن في الأسطورة الزرادشتية التي أنثى شيطان اسمها «جيه" لتدمير المجتمع، و لدى خادمه تلميح مثير للاهتمام بأنّ أورمزد لم يكن قادرًا على خلق مخلوق آخر غير المرأة لإنجاب الأطفال ، وإذا كان بإمكانه فعل أي شيء آخر ، لكان قد فعل الشيء نفسه![2]

في مثل هذه البيئة يقول أمير المؤمنين علي ﷺ : "فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَ لَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ" وهذه بعض الحقائق التي لم يتم التفكير فيها بعناية ، على الرغم من أننا لا نستطيع تجاهل اليد في تشويه الحقائق عبر التاريخ في هذه المناقشات ، اليد نفسها التي أخفت في أوقات مختلفة ، أو حتى جعلت القوانين القبيحة والنقية المحيطة بها ، لقد أظهروا وجعلوا ما هو غير صحيح يبدو جميلا من أجل استغلال النساء والفتيات.

لا ينبغي أن ننسى أنّ التحدث والدفاع عن مكانة المرأة الأصلية يعني التحدث عن مكانة الإنسان ، التي سيكون طهارتها ورعايتها وصيًا لأجيال عديدة ، وقوة المجتمع ومجده، وإذلالها وقمعها وحجبها ، سوف يتسبب في تدمير الأسرة والمجتمع البشري ؛ لذلك من الطبيعي أن ينتبه المحسنون من جهة، والمستفيدون من جهة أخرى إلى هذه الطبقة البشرية ، لكن المطلوب الحفاظ على قدسية المرأة وكرامتها ، وهي نقطة مليئة بالمحتوى ، وهو ما يغطيه رواية الإمام سجاد ﷺ ، ونختتم هذا المقال: " وَ أَمَّا حَقُّ الزَّوْجَةِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ جَعَلَهَا لك سَكَناً وَ أُنْساً فَتَعْلَمَ أَنَّ ذَلِك نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَيْك فَتُكْرِمَهَا وَ تَرْفُقَ بِهَا"[3]

(١) سورة النحل، الآية : ٥٧
(٢) من وحي القرآن ، فضل الله، ٧ / ٨٥٤
(٣) البرهان في تفسير القرآن، مج٥، ٣٧٨.

٥- خلفية عن مكانة المرأة :

غالبًا ما تعرضت المرأة للاضطهاد عبر التاريخ بسبب رقتها وضعفها الجسدي الذي لا يستطيع منافسة الرجل ، وأيضًا بسبب جاذبية المرأة للرجل ، دفن الفتيات أحياء في بعض قبائل الجزيرة العربية ، وقد ذكر الله تعالى ذلك في عدة آيات من القرآن الكريم[١] ، وفي أماكن أخرى ، تعرضت النساء للقمع الشديد والاغتصاب من قبل الرجال ، وهو نفس المكان الذي حُكم على الفتاة المسكينة فيها بالإعدام لكسر بضع بيضات ، وهناك ، لم تكن المرأة أكثر من سلعة ، وهناك حُكم على المرأة بأشد المشقات كإفراغ مياه السفن ، وأخيرًا بعد قلة القدرة والغطرسة قُتلت وطُهيت لإطعام الرجال ، حتى في اليونان ، مهد الحضارة ، ليس لدينا ذكرى جميلة عن وجود النساء ؛ لأنّ الشيوخ والعلماء شكروا الله على عدم كونهم امرأة ، أو عدّوا المرأة مطهرًا بين الرجل والحيوان ، وحتى الكنيسة في أوروبا ، بعد عدة قرون ، أعلنت أن القديسة مريم هي وحدها التي لها نفس بشرية.[٢]

٦- الإسلام والتغيير في مكانة المرأة :

خلق إسلام دين أكمل مع ظهوره تحولًا غريبًا وناشئًا بالنسبة للمرأة ، وأقام ثورة لصالح المرأة في بداية ظهورها ، ولا تزال عجائبها تشغل أذهان الكثيرين.

لم يحكم الإسلام بالمنع على الفتيات بدفنهن أحياء فحسب ، بل أنقذ الفتاة من الموت المهين "و إذا المؤده سُئلَت بِأيّ ذنبٍ قُتلَت"[٣]، بل أعلن عن إعلانه عن المساواة في حقوق الإنسان للعالم كميثاق للمساواة بين الرجل والمرأة في عدة سور وآيات عديدة: ﴿ إِنّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمَاتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْقَانِتِينَ وَ الْقَانِتَاتِ وَ الصّادِقِينَ وَ الصّادِقَاتِ وَ الصّابِرِينَ وَ الصّابِرَاتِ وَ الْخَاشِعِينَ وَ الْخَاشِعَاتِ...﴾[٤] و ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٥١
(٢) من وحي القرآن ، ٨ / ٤٥٢
(٣) سورة التكوير ، الآية : ٩
(٤) سورة الأحزاب :٣٥

أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1]؛ حتى يعلم الجميع أن المرأة مساوية للرجل في الإنسانية ، والتقوى، والعمل الصالح ، ولا فرق بين الرجل والمرأة ؛ ومع الآيات ، لإلغاء التصور الخاطئ لمن يسمون بالعلماء اليونانيين الذين اعتبروا المرأة خالية من الروح البشرية والحياة الأبدية. ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[2]

ردّ الإسلام للمرأة المسروقة حقّها، و أنقذها من ظلم الآباء والإخوة والازواج الظالمين ، لقد منحها الحرية ، والحق في اختيار الوظيفة ، والزوج ، وما إلى ذلك ، وأعطاها حق التملك: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَ لِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾.[3]

المرأة مساوية للرجل في الإنسانية ، والتقوى ، والصلاح ، ولا فرق بين الرجل والمرأة.[4]

وحفظ حقها في المهر والميراث ، وتحدث في كثير من آيات القرآن الكريم في شرح دفاعها عن حقوق المرأة ، وكان كل هذا في وقت كانت فيه الفتيات تُمنح كزوجات دون موافقتهن، ويريد الرجل للزواج من طفل في أي وقت ، ويمكنه أن يطلق زوجته بدون مهر بحجج كاذبة مثل عدم غزلها في العلن ، أو رفع صوتها حتى يسمعها الرجل.[5]

ألغى الإسلام جميع حالات الزواج والطلاق القاسية ، ولم يكتف بإعطاء المرأة الحق في اختيار زوجها ، بل اعتبر أيضًا أن للمرأة حقوقًا سياسية مثل حق التصويت والولاء للرجل، وتركها حرة في الهجرة حفاظًا على حياتها و دينها.

١٠- أهم أوامر القرآن للمرأة

أول أمر في القرآن للمرأة أن ترتدي الحجاب ، وهو مذكور في عدة آيات: في الآية ٣١

(١) سورة الحجرات ، الآية :١٣
(٢) سورة النحل ، الآية :٩٧
(٣) سورة النساء ، الآية : ٤
(٤) من وحي القرآن ، فضل الله، ٦ / ١٥٤
(٥) وضع المرأة في الفقه والتشريع، بلبع، عبد السلام، دراسة قدمت في الحلقة (١٥٠)، جامعة الدول العربية، ١٩٧٢، ص١-٥.

من سورة النور نقرأ: ﴿ وَ قُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَ لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاّ ما ظَهَرَ مِنْها وَ لْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيُوبِهِنَّ وَ لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبائِهِنَّ أَوْ آباءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنائِهِنَّ أَوْ أَبْناءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَواتِهِنَّ أَوْ نِسائِهِنَّ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ أَوِ التّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوْراتِ النِّساءِ وَ لا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَ تُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.(١)

كما ورد في الآية ٥٩ من سورة الأحزاب: ﴿ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ وَ بَناتِكَ وَ نِساءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَ كانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾. تضمنت الآية السابقة أوامر للنساء بالحجاب ، لكن في هذا السياق ، نصح الله أيضًا الرجال باحترام النساء ، وخاصة زوجات الرسول: ﴿ وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ ﴾.(٢)

نزلت الآيتان الأخيرتان عن زوجات الرسول ، لكن لا أحد منهم مميز الحجاب شائع بين جميع النساء المسلمات بالإضافة إلى الحكم﴿ ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ ﴾(٣) ، وفي الآية الأخيرة بيان سبب الحكم ويمكن تعميمه على جميع النساء ؛ لذلك جعلت آية شريفة الرجل المسلم مسؤولًا عن احترام حجاب كل الأجنبيات ، النصيحة الثانية للمرأة هي تقليل الاختلاط بالرجال الأجانب ، طبعا إذا دخلت المرأة السوق مع مراعاة حدود الحجاب الإسلامي ، فلا يمكن ملاحقتها من الناحية القانونية إلا إذا كانت متورطة في فساد ودعارة ، ولكن من وجهة نظر أخلاقية ، فإنّ المرأة المسلمة ملزمة بالابتعاد عن الرجل الغريب ومحاولة الحفاظ على عملها في بيئة المنزل ، في بعض الأحيان قد تنشأ حالة خاصة وتتطلب المصالح الاجتماعية والسياسية مشاركة المرأة في المجتمع ، وفي هذه الحالة ، يجب أن يكون المجتمع النسائي منفصلًا عن الرجال قدر الإمكان؛ لأنّ الاختلاط بين الرجال

(١) الآية ٣١ من سورة النور
(٢) سورة الأحزاب، الآية : ٥٣
(٣) سورة الأحزاب، الآية : ٥٣

والنساء الأجانب – خاصة إذا كانت المرأة تضع المكياج – له قيمة أخلاقية سلبية من وجهة نظر الإسلام.[١]

يقول القرآن الكريم: (لنتعلم أنّ الله تعالى واعي بظهورنا وظهورنا الباطني وكل القلوب المريضة التي تجهل حدودها) ، لقد أُمرنا بأن نتستر على أنفسنا ، وأن نكون عفيفين، ولديهم نفس الترتيب ، وليس أننا مسؤولون عن سلوكهم ، والله القدير أجر كل عمل وهو العدل ﴿وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى﴾[٢] الترتيب الثالث للمرأة هو مراعاة الحياء يعني الحياء أنّ الإنسان ، خوفا من أن تلوثه الخطيئة ، و ليتجنب الشك في أن يلوثه الخطيئة ؛ لذلك لا يمكن تسمية أي تواضع ، أو ضعف في الذات ، يقول القرآن الكريم في قصة بنات شعيب: ﴿ فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياء ﴾[٣] تستعمل هذه الآية لإظهار أنّ للتواضع قيمة أخلاقية خاصة للمرأة.[٤]

الأمر الرابع للمرأة هو مراعاة الكرامة والرصانة عند التحدث إلى الرجل ، وعدم التحدث بالطريقة التي تثير رغبتهم يقول الله عن هذا: ﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾[٥] ، جمهور هذه الآية هم زوجات الرسول صلى الله عليه و آله وسلم ، لكن من المؤكد أن هذه وصية أخلاقية ، وهي أولوية أخلاقية لكل امرأة مسلمة من كان مسلمًا ويريد أن يكون متدينًا ، فهو يعلم أن الله تعالى لا يريده أن يكون سيئًا، وأنّ أوامره كلها مبنية على المعرفة الأبدية دون أي خطأ فيها.

١١ – مكانة المرأة في الإسلام وعظمتها في القرآن

لقد أعطى دين الإسلام والقرآن حقوقًا وامتيازات للمرأة واعترف بها وأعطاها شخصية وحقوقًا مستقلة ، فمكانة المرأة في الإسلام هي مكانة فريدة ، مكانة جديدة ،

(١) موطأ الإمام مالك، بن أنس، مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج٧، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥، ٥٢٤.
(٢) سورة الأحزاب، الآية : ٣٣
(٣) سورة القصص، الآية : ٢٥
(٤) من وحي القرآن ، فضل الله، ٢ / ٢٤٥
(٥) سورة الأحزاب، الآية : ٣٢

شيء لا مثيل له ، كان قادتنا الدينيون يثمنون النساء كثيرًا لدرجة أنّ النبي محمد ﷺ قدم فاطمة ﷺ ، وجعلها في منزلة عالية في العصر الذي دفن فيه العرب بناتهم أحياء.(١)

في عيني الله ، لا فرق بين الرجل والمرأة ، كما جاء في الآية الكريمة من سورة أحزاب:

﴿إِنّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصّادِقِينَ وَالصّادِقَاتِ وَالصّابِرِينَ وَالصّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدّقِينَ وَالْمُتَصَدّقَاتِ وَالصّائِمِينَ وَالصّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذّاكِرَاتِ أَعَدّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢)

من هذه الآية نتعلم أنّ المرأة المتواضعة المؤمنة ، والرجل المتواضع المؤمن لهما المكانة نفسها في نظر الله ويتمتعان بالمغفرة والثواب العظيم.(٣)

الإسلام لا يفرق بين الرجل والمرأة ويجعل أسمى إنسان في نظر الله هو أخلص الناس ، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٤)

خلق الله البشر وهداهم ، ويمكن للجميع الاستفادة من بحر الرحمة الإلهية هذا ، وتمهيد الطريق لتطورهم وسعادتهم ، كما ينظر الله إلى كل البشر بالعين نفسها في الآية التالية ولا يذكر الجنس ؛ لذلك فإنّ الاختلاف في الجنس لا يمكن أن يكون عقبة في طريق التطور، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمّا شَاكِرًا وَإِمّا كَفُورًا﴾ (٥)

ورد في القرآن عن المرأة الطاهرة ونماذج يحتذى بها للمرأة الأخرى ، مما يعني أنّ القرآن يعدّ المرأة مؤثرة في المجتمع.

(١) من وحي القرآن ، فضل الله ، ٥ / ٤٣
(٢) سورة الاحزاب ، الآية : ٣٥
(٣) مكانة المرأة في الحضارات القديمة، بورحلة، نوال، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع(٣١)، جامعة ورقلة، ٢٠١٧، ص٩٨.
(٤) سورة الحجرات ، الآية : ١٣
(٥) سورة الانسان ، الآية : ٣

﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1]

وضع الإسلام قوانين خاصة بالمرأة في أبعادها الفردية والاجتماعية ، وأعطاها الحقوق الصحيحة التي تؤدي إلى سمو شخصيتها ، قال الحكيم: ﴿لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[2]

الإسلام لا يحرم المرأة من التعليم والتعلم ويأمر باكتساب المعرفة وزراعة الذات لجميع الرجال والنساء الذين يريدون الوصول إلى أعلى مستويات الكمال ، ولا يريد الإسلام للمرأة المسلمة أن تقضي حياتها بالإهمال والجهل وبعيدة عن أي تقدم وكمال.[3]

يقول رسول الإسلام الحبيب صلى الله عليه و آله وسلم: «طلب العلم واجب على كل مسلم ومسلمه".

الإسلام يعطي المرأة حق التملك ويقول الله تعالى صراحة في حق الملكية: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾[4]

بالنسبة لعرب الفترة الجاهلية ، عندما يسمعون أنّ بنتًا ولدت لهم ، أصبحوا سوداوين بغضب ، وبسبب الأنباء السيئة التي تم إحضارها وإخفائها من ضغوط الرأي العام الذي ظن أنّها سيئة ، حول ما إذا كان يجب أن ينظروا إليه والإذلال ، هل يتسامحون مع إنجاب ابنة ، أو يخفونها على قيد الحياة ، تمامًا كما كانت العادة عندهم جميعًا فيما يتعلق بالبنات المولودين وكما قالوا: قبل أن يلد أزواجهن ، هم سيحفرون حفرة ويجهزونها ، تمامًا كما عندما اكتشفوا أن طفلتهم كانت فتاة ، ألقوا عليها الأوساخ ، حتى تموت تحت الأرض ، وفعلوا هذا بالفتيات خوفًا من الفقر ، بحيث شخص لا يليق بهم يطمع بهم.[5]

(١) سورة التحريم ، الآية : ١١
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٨
(٣) من وحي القرآن ، فضل الله، ٥ / ٤٣
(٤) سورة النساء ، الآية : ٣٢
(٥) التّحرير والتّنوير، ابن عاشور، ١٢ / ٢٥٠

الإسلام والقرآن قرر أنّ الحياة لجميع البشر حقّ شرعي ، لا يحق لأحد أن يقتل فتاة على قيد الحياة ، وإذا فعل ذلك ، فسيتم استجوابه ومعاقبته في العالم الآخر ، كما جاء في سورة التكوير: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (١)

في عيني الله شرف الرجل والمرأة مهم ، وقد نهى الله عن القذف على المرأة ورمي المحصنات ، وقال: هذا ينزع الرحمة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢)

قال الله تعالى أنّ كل مؤمنة يمكنها أن تحرم الإنسان من فعل قبيح وتأمر بعمل إيجابي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس حكرا على الرجال ، ولكل المؤمنين من رجال ونساء ولاية على بعضهم البعض ، كما جاء في القرآن: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (٣)

يعدّ الله الاستهزاء رجسًا وينصح جميع الناس بعدم الاستهزاء ببعضهم البعض ، يقول عن عدم الاستهزاء بالله في سورة الحجرات: ﴿لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء﴾ (٤)

ويجعل الله مسئولية الرجل أن يوفر المسكن للمرأة حتى بعد الطلاق لفترة طويلة ، ويقول إنّ الرجل ليس له الحق في اختيار مكان غير مناسب للمرأة لتعيش فيه وإجبار المطلقة على العيش في ذلك المكان ، في سبيل الاقتصاد والانتقام والذل عند اختيار المسكن ، يجب الانتباه لراحة المرأة وسلامها ، لا أن يكون لديها مأوى فقط يقول القرآن:﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ (٥)

النفقة حق منحه الإسلام للمرأة في الزواج الدائم ، يجب على الزوج دفع نفقة الزوجة ، فحقّ النفقة في الإسلام نوع من التيسير على المرأة حتى لا تجد صعوبة و لا تسقط نفقة المرأة

(١) سورة التكوير ، الآيتان : ٧ ، ٨
(٢) سورة النور ، الآية : ٢٣
(٣) سورة التوبة : ٧١
(٤) سورة الحجرات ، الآية : ١١
(٥) سورة الطلاق ، الآية : ٦

عن زوجها لشيء غير النشوز.[١]

نزلت في القرآن الكريم عدة آيات عن وجوب نفقة المرأة: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[٢]، ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِن وُجْدِكُمْ... لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ ﴾[٣]، ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾[٤]

يجب على الرجل أداء الصداق ، ومن تهاون في هذا الأمر ، ولم ترض زوجته ، يتم استجوابه ، ولومه في الآخرة ، يقول الله تعالى: ﴿ وَ آتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَه ﴾[٥] وقد حدَّد الإسلام حقَّ المرأة في الميراث ، وفي آية أخرى قال الله تعالى عن الميراث: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾[٦] على الرغم من أنّ ميراث المرأة في الإسلام هو نصف ميراث الرجل ، إلا أنّه يمكن للمرأة الاحتفاظ بما ترثه في ممتلكاتها الشخصية ، ويحصل الرجل على الميراث كاملًا ، ولكن وجوب النفقة يقع على الرجل ، ويلتزم الرجال باستعمال كل ممتلكاتهم في سبل العيش ، وفي هذه الحالة يبدو أنّ المرأة تستفيد أكثر من الرجل.

في زمن الجهل وقبل الإسلام ، كانت المرأة متدنية الشخصية والمكانة في المجتمع ، وكانت تعدّ مصدر خزي لدرجة أنّ بعض العرب دفنوا بناتهم أحياء ، قوله (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا) بالتشديد و التخفيف، نزل في الذين دفنوا بناتهم أحياء مخافة السبي و الفقر، و هم

(١) الجامع لأحكام القرآن ، قرطبي، محمد بن احمد. ١٣٦٤، ج. تهران – ايران: ناصر خسرو، ٥ / ١٧٤.
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٣
(٣) سورة الطلاق ، الآية : ٦
(٤) سورة النساء ، الآية : ٣٤
(٥) سورة النساء، الآية : ٤
(٦) سورة النساء ، الآية : ٧

ربيعة و مضر، أي أهلكوا (أَوْلادَهُمْ سَفَهاً) أي لخفة عقل.(١)

يقول القرآن الكريم: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾(٢)

مع مجيء الإسلام واختيار محمد ﷺ نبيًا ، أعيد إحياء شخصية المرأة الضائعة ؛ لأنّ الرسول قدم رحمة البنت كمصدر للرحمة والبركة ، وحسن التصرف مع ابنته.

يقول رسول الإسلام الحبيب ﷺ: «البنات هن المشفقات المجهزات المباركات".

لم يمنع الإسلام المرأة من حضور التجمعات العامة ، بل نص عليها بحضور التجمعات العامة بالحجاب والعفة ، في عهد رسول الله ﷺ ، وبعد ذلك في زمن الأئمة المعصومين ، كانت النساء حاضرات في المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية ، فلم يحرم السلام على المرأة من المشاركة في الأمور المذكورة أعلاه ، ولكن في بعض الأمور كالحج عَدّ واجبًا ، وفي كثير من الحالات اعتبر مباحًا ، وروي أنّ فاطمة شاركت في تشييع جنازات بعض المسلمين ولم تمنعهم من ذلك.

كما انتفض حضرة زينب بني صبر ضد أعداء الإسلام عبر حضور التجمعات و التجمعات العامة والدفاع عن الحق، وقد ورد في القرآن الكريم بيعة المرأة للنبي ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣)

١٢- حقوق الولاية للمرأة

ولتوجيه البشرية ، اختار الله تعالى أنبياء ورسلًا إلى الأمم كقادة لتولي مهمة الإرسالية والوصاية على تلك المجتمعات وتحريرها من الفوضى ، لا شك أنّ كل مجتمع يحتاج إلى إدارة وإشراف واحد ، حتى يتمكن من تنظيم المجتمع عن طريق التخطيط واتخاذ قرار

(١) عيون التفاسير ، سيواسى، احمد بن محمود، و دارتما، بهاء الدين. ١٤٢٧-٢٠٠٦،٤ ج. بيروت - لبنان: دار صادر ، ٢ / ٤١

(٢) سورة النحل ، الآية : ٥٨

(٣) سورة الممتحنة ، الآية : ١٢

واحد وخلق التنسيق بين مكوناته ، ومنع تشتت الخطط ، وذلك للوصول إلى الأهداف السامية وتحقيقها. تطلعات الآن قد يكون هذا المجتمع دولة ومنظمة وحتى عائلة.

وكما أسند الله تعالى دور الزوجة والأم للمرأة كرمز للمحبة والحنان والعطف لإدارة البيئة المنزلية وتربية الأبناء ، فقد اختار الرجل أيضًا كرئيس ومدير للأسرة والعائلة ، ووصي على رعاية وحماية أعضائها ، في الآية ٣٤ من سورة النساء ، يشرح القرآن الكريم دور الرجال في البيئة الأسرية ويشرح واجباتهم ومسؤولياتهم الخاصة ويقول:﴿ الرِّجالُ قَوّامُونَ عَلَى النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَ بِما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ ﴾. في هاتين الآيتين بعض الملامح البارزة للتخطيط القرآني للوضع التشريعي للأسرة، في علاقة الرجل بالمرأة كزوجين[١]

إنّ هيمنة الرجل على المرأة في هذه الآية لا تعني هيمنة الرجل على المرأة وتنمره وقسوته، ولكن كما قال علماء المعاجم ومعظم المعلقين ، فإن كلمة «قوامون" تعني الولاية والعمل والحراسة ، والواقع أنّ نصّ الآية يعبر عن ضرورة إدارة الرجل العازب والمنظم، الوصاية في الأسرة فيما يتعلق بالمشاورة في العمل وتقسيم الواجبات ، وعدم محاولة التشريع ووصف الاستبداد والهيمنة وإساءة معاملة الرجل للمرأة ، فالحقوق مصانة في المجتمع، أو الأسرة على الرغم من أنّ البعض أساء تفسير هذه الآية ، ويعتقدون أنّ معنى الآية هو سيادة الرجال المطلقة على النساء ومجرد تبعية النساء للرجل ، إلّا أنّ الحقيقة هي إنّ الآية تعبر عن المسؤولية المزدوجة التي وضعها الله على الرجال وجعلهم مسؤول عن رعاية الأمن والسلام والحفاظ عليها ، وتوفير الاحتياجات الجسدية والعاطفية للمرأة في الأسرة والمجتمع ، إنّ حق المرأة في الوقاع كحق الرجل فيه، بحيث يجب عليه الاستجابة لحاجتها.[٢]

في البيئة الأسرية ، يتحمل الرجال مسؤولية توفير النفقات وتوفير الاحتياجات اليومية،

(١) من وحي القرآن ، فضل الله، محمد حسين. ١٤١٩ ، ٢٥ ج. بيروت لبنان: دار الملاك للطباعة و النشر و التوزيع. ٧ / ٢٢٩

(٢) المصدر نفسه ، ٤ / ٢٧٦

وإدارة الخطط التنفيذية والأمنية لزوجاتهم وأفراد الأسرة الآخرين ، ودعمهم وحمايتهم من المشاكل الاجتماعية في استمرار الآية نفسها ، يذكر الله سبب ذلك بوضوح ، وهذا ناتج عن الخصائص الجسدية للرجل من حيث القدرة التنفيذية ، وقوة الدفاع وقدرة أكبر على التحمل أمام العمل الشاق والثقيل ، و حالتهم العقلية والعاطفية في مواجهة المشاكل وهو يعرف حلّ المشاكل.

١٤- هداية الأسرة على الصراط المستقيم :

بما أنَّ الإنسان هو كائن ينسى ، فقد يفشل في الحياة بسبب نسيان بعض الواجبات ، والنواهي عنها فيقع في فخ الشيطان ويسقط في الخطأ ؛ لذلك لا يجب على كل مؤمن أن ينتبه فقط لسلوكه وأفعاله طوال حياته ، بل يجب ألا يكون غير مبالٍ بأفعال من حوله ، وفي حالة مواجهته لسلوك خارج عن العادات والشريعة ، ينبغي أن يذكرهم ويأمر بالخير، وينهى عن الإنكار.

قال أمير المؤمنين عن هذا: "كُنْ بِالْمَعْرُوفِ آمِراً وَ عَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِياً وَ بِالْخَيْرِ عَامِلًا وَ لِلشَّرِّ مَانِعا ".

هذا الواجب بالتأكيد أثقل وأهم بكثير من الأقارب ، وخاصة أفراد الأسرة ، وخاصة الزوجة ، الذين سيكون لهم مكانة خاصة في حياة وسعادة كل شخص ، وأطفاله بالنظر إلى انتشار الثقافة الغربية في المجتمع ووجود الفاسدين والمضللين وخطر تعديهم على أفراد الأسرة ، فإنّ على الرجل واجب ثقيل للغاية في الحفاظ على مركز الأسرة وتثقيف أفرادها.

وقد نهى عنه القرآن الكريم في الآية ٦ من السورة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾، وهذا نداء للمؤمنين الذين يريد الله منهم تفادي الآثار السيّئة للانحراف ، تماما كما أراد ذلك لنساء النبي ﷺ ، فحمّلهم مسؤولية أنفسهم وأهليهم بالابتعاد عن النار بكل الوسائل التي يملكونها.[1]

(١) من وحي القرآن ، فضل‌الله، محمد حسين ، ٢٢ / ٣١٦

قال الإمام الصادق عليه السلام في شرح وتفسير هذه الآية، لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ ناراً ﴾ ، قَالَ النَّاسُ كَيْفَ نَقِي أَنْفُسَنَا وَ أَهْلِينَا قَالَ اعْمَلُوا الْخَيْرَ وَ ذَكِّرُوا بِهِ أَهْلِيكُمْ وَ أَدِّبُوهُمْ عَلَى طَاعَةِ اللهِ. ظنّ بعض الناس أنّ الرجل والمرأة لن يكونا قادرين على اتخاذ القرار والرد إلّا قبل الزواج في معرفة واختيار شخصية ومزاج الزوج ، وبعد الزواج إذا لاحظا نقاط ضعف في شخصية الزوج ، يحسبون أنّ الشخصية هي التي سيفعلها ، ويجب أن يتعامل مع هذه الظروف ولن يتمكن من تغيير شخصيته ومع ذلك، لا ينبغي أن نتوقع أنّ الرجل والمرأة يمكنهما فهم جميع جوانب شخصية بعضهما البعض قبل الزواج ، ولا ينبغي الافتراض أنّ الشخص يمكن أن يجد الشخص المثالي للزواج ؛ لذلك يجب أن يكون كل عاقل قادرًا على التصرف على أساس المبادئ والقواعد الأخلاقية والسلوكية ، فإذا لاحظ عيوبًا في سلوك زوجته وأدائها بعد الزواج ، يتخذ الإجراءات اللازمة لتصحيحها وتنمية الصفات الحميدة في زوجته.

قال الإمام الصادق عليه السلام :" لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُورِثُ أَهْلَ بَيْتِهِ الْعِلْمَ وَ الْأَدَبَ الصَّالِحَ حَتَّى يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ".

يجب على ربّ الأسرة إبلاغ زوجته وأفراد أسرته بقبح الذنوب ، والنهي عن ارتكاب المعاصي ، والقضاء على أسباب الذنوب والمعصية في الأسرة.

١٥- العناية بالمرأة واحترامها :

الغيرة من الصفات البشرية الطبيعية والفطرية التي وضعها الله في كل البحر ، فكل إنسان بطبيعته وغريزيه لا يحب أن يستعمل الآخرون أجهزتهم الخاصة إذا كان للأصل ، أو للجهاز جانب خاص تمامًا وله قيمة خاصة لمالكه ، فإنّ حيازته تعني اغتصابًا وتعديًا ، ويدافع المالك عنه بكل قوته من أجل حماية ممتلكاته ، وما إلى ذلك- سوف تدعى بالغيرة الشرف والكرامة من أهم ممتلكات الإنسان ، وفي الإسلام تم التركيز كثيرًا على الحفاظ عليها والعناية بها ، فمن الواجبات التي تقع على عاتق كل رجل في حياته الزوجية تجاه

زوجته رعاية وحماية كرامة زوجته ، وسمعتها من العدوان والسلوك غير التقليدي والشدائد الاجتماعية ، وقد وضع الله هذه الصفة في الرجل قيمة خاصة.

قال الإمام الصادق عليه السلام عن هذا: " إِنَّ اللهَ غَيُورٌ يُحِبُّ كُلَّ غَيُورٍ وَ مِنْ غَيْرَتِهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ ظَاهِرَهَا وَ بَاطِنَهَا ".

وكان من فضائل رسول الله صلى الله عليه وآله الأخلاقية البارزة الغيرة ، حيث قال في هذا الصدد:" كَانَ أَبِي إِبْرَاهِيمُ عليه السلام غَيُورًا وَ أَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَ أَرْغَمَ اللهُ أَنْفَ مَنْ لَا يَغَارُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ".

في الآية ٥٩ من سورة الأحزاب ، أمر الله سبحانه وتعالى نبي الإسلام صلى الله عليه وآله أن يحفظ نسائه المباركة من عدوان بعض الرجال وتفكيرهم النجس.:﴿ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ وَ بَناتِكَ وَ نِساءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَ كانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾[1]، فكان سبب نزولها أنّ النساء كنّ يخرجن إلى المسجد و يصلين خلف رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، فإذا كان الليل و خرجن إلى صلاة المغرب و العشاء الآخرة يقعد الشباب لهن في طريقهن فيؤذونهن و يتعرضون لهن[2]

تعبر الآية عن واجب جميع الرجال في الحفاظ على مركز الأسرة وحمايته ، وخاصة زوجاتهم من الأشخاص المتهورين والمتقلبين في المجتمع ؛ لذلك ،وفضلًا عن العناية بأفعاله وصفاته الوجودية ، يجب أن يكون الرجل مسؤولًا عن الحفاظ على كرامة وشرف زوجته ، ويجب أن يضعها تحت حمايته ورعايته ويكون لها مثل السور، قال الإمام الصادق عليه السلام عن هذا: " إِنَّ الْمَرْءَ يَحْتَاجُ فِي مَنْزِلِهِ وَ عِيَالِهِ إِلَى ثَلَاثِ خِلَالٍ يَتَكَلَّفُهَا وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي طَبْعِهِ ذَلِكَ مُعَاشَرَةٌ جَمِيلَةٌ وَ سَعَةٌ بِتَقْدِيرٍ وَ غَيْرَةٌ بِتَحَصُّنٍ".

يجب أن تكون هذه الدقة والثقة في العناية والمحافظة على عفة المرأة ، وكذلك في الالتفات إلى المخاطر المحيطة وتلاقي المشاكل والمشكلات الاجتماعية ، فالعناية بعفة الزوجة هو الشرط الأساسي لغيرة كل رجل وحرصه للحفاظ على سمعة عائلته وصحتها الروحية ،

(١) سورة الأحزاب، الآية : ٥٩)
(٢) من وحي القرآن ، فضل‌الله، محمد حسين ، ١٨ / ٣٥١.

ونتيجة قلة الحماسة والإهمال في الحفاظ على السمعة والكرامة الاجتماعية سيكون مصدر ذل للرجل ، وإنّما فرض الإسلام الحجاب ليحدد الاثارة الجنسية في القنوات الشرعية النافعة لها، و ليحافظ على عفة المرأة و كرامتها، و ليهبها موقعا مناسبا في المجتمع[1]

قال رسول الله ﷺ عن هذا: «مَنْ أَطَاعَ امْرَأَتَهُ أَكَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ قِيلَ وَ مَا تِلْكَ الطَّاعَةُ قَالَ تَطْلُبُ إِلَيْهِ الذَّهَابَ إِلَى الْحَمَّامَاتِ وَ الْعُرْسَاتِ وَ الْعِيدَاتِ وَ النَّائِحَاتِ وَ الثِّيَابِ الرِّقَاق".

أي إهمال طريقة لبس الزوجة والتفكير البسيط بنوع التنشئة الاجتماعية ، والرفقة والتجمعات خارج إطار الشريعة الإسلامية والأحكام الإسلامية مع الآخرين ، وخاصة مع الجنس الآخر يجب أن يعدَّ المؤشر الأول على قلة الحماسة في الرجل ، وفي رواية وصف رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم هؤلاء الناس بفظاظة وفتور وقال: «أَيُّمَا رَجُلٍ تَتَزَيَّنُ امْرَأَتُهُ وَ تَخْرُجُ مِنْ بَابِ دَارِهَا فَهُوَ دَيُّوثٌ وَ لَا يَأْثَمُ مَنْ يُسَمِّيهِ دَيُّوثاً وَ الْمَرْأَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَابِ دَارِهَا مُتَزَيِّنَةً مُتَعَطِّرَةً وَ الزَّوْجُ بِذَلِكَ رَاضٍ يُبْنَى لِزَوْجِهَا بِكُلِّ قَدَمٍ بَيْتٌ فِي النَّار". المراد بستر يدخل فيه ستر الوجه و تغطيته عن الرجال، و أن ستر المرأة وجهها عمل بالقرآن[2]

وبحسب قول نبي الإسلام في هذا الحديث فإنّ الفساد والاضطراب في الأسرة والمجتمع ، هو نتيجة لامبالاة الرجال وعدم اكتراثهم بسلوك زوجاتهم وأخلاقهم ، بالتأكيد ، فإنّ الشخص الذي يرغب في السماح لزوجته بالارتباط في المجتمع بأي سلوك معاد للقيمة والغطاء ولا يمنع مثل هذه الانحرافات ، سوف يدمر أساس عائلته بيديه ويسبب إذلاله وذله.

على الرغم من أنّ عدم العناية بمراعاة معايير الشريعة يسبب الكثير من الضرر للأسرة

(١) من هدى القرآن ، ١٨ ج ، مدرسى، محمد تقى. ١٤١٩–١٩٩٩ ، تهران إيران : دار محبي الحسين عليه السلام. ٨ / ٢٩٨

(٢) البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، شنقيطى، محمد امين، و خالدى، محمد عبد العزيز. ١٤٢٧–٢٠٠٦ ، أضواء ١٠ ج. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية ، ١ / ٣٩١.

والمجتمع ، فإنّ المبالغة في هذه المسألة لن تكون خالية من المشاكل لسوء الحظ ، فإنّ بعض الرجال ذوي الإيمان والغيرة لديهم سوء فهم في الفهم الصحيح لطبيعة الحماسة الإسلامية ، فيرتكبون خطأ أكبر بكثير عند ظهورها ، فالغيرة كمبدأ أخلاقي لها حدود معينة ويجب على الرجال أن يحرصوا على عدم التسبب في مضايقات غير ضرورية لزوجاتهم ، والأشخاص من حولهم عبر عدم اتباع مبادئه الأخلاقية، يعتقد بعض الناس أنّ الغيرة تكون أكثر فاعلية من خلال التعبير عن الغضب تجاه الزوجة والأطفال ، في حين أنّ وجهة النظر الإسلامية تتعارض بشكل أساسي مع مثل هذه السلوكيات ، لقد ذهب البعض إلى أبعد من ذلك ، وعن طريق المبالغة في هذه السمة وإثارة الشكّ ، وعدم الثقة تجاه أزواجهم وأفراد أسرهم ، بصرامة غير معقولة ، فإنهم يتسببون في الاستياء ويضعفون قوة الأسرة.

قال الإمام علي ﷺ في وصيته لابنه العزيز الإمام الحسن مجتبي ﷺ : "وَ إِيَّاكَ وَ التَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ وَ الْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ".

تجنب الحماسة التي لا داعي لها ؛ لأنّ ذلك من شأنه أن يصيب الشرفاء والصالحين بالتلوث والمرض ، ويتعرض الأبرياء للقذف.

معناه أن الحماس يجب أن يكون أولًا في اتجاه حماية الزوجة وأفراد الأسرة الآخرين، وثانيًا ، يجب أن يكون مصحوبًا بسلوك مليء بالرحمة والطيبة وبدون تشدد وتطرف ؛ لذلك، إذا كان لدى الرجل تحيز غير مبرر وسخرية تجاه زوجته وأفراد أسرته الآخرين ، فعليه أن يحاول القضاء على هذه الممارسة الشريرة من خلال الممارسة.

إن خلق شعور بالأمان والثقة لدى المرأة في مأوى زوجها هو تأثير آخر لحماسة الرجل وعنايته بزوجته ، هو بالتأكيد شعور لطيف وفعال للغاية في زيادة حب الأزواج وعاطفتهم، وبالطبع فإنّ حماسة الرجل تجاه زوجته وأفراد الأسرة الآخرين لها تأثيرات أخرى كثيرة أيضًا ، لكن النقاط المذكورة تتحدث عن نفسها عن تأثير هذه الصفة في وجود الرجل للحفاظ على صحة الأسرة والمجتمع.

١٧- دفع الصداق للمرأة :

في الدروس السابقة تمت مناقشة موضوع المهر والصدقة وواجبات كل رجل وامرأة قبل الزواج ، ولكن بعد الزواج ، يقع على عاتق الأزواج أيضًا واجبات تجاه بعضهم البعض يجب أن يلتزموا بها ، ولما كان المهر من أموال المرأة ، وأنّ دفعه من مسؤولية الرجل، فإنّ الرجال ملزمون بتسوية الدين لزوجاتهم إذا استطاعوا ذلك ، قال الله تعالى في القرآن الكريم:﴿وَ آتوا النّساءَ صدقاتهنَّ نِحله﴾ [١] ، نزلت بعض الآيات تأكيدا للمساواة الإسلامية بين المرأة والرجل في دائرة التقييم الإلهيّ للعمل الملتزم بالخط المستقيم[٢]

أعطوا مهر المرأة الذي لهم وهو هدية وعطاء منك لهم.

يعدُّ القرآن أنّ المهر هدية من الرجل للمرأة ، فلا داعي للرجل لدفعه لزوجته ، إذا قبل الرجل وجوب المهر على زوجته ، فعليه أن يعطيها هذا الدين في أسرع وقت ممكن ، جعل الإمام جعفر الصادق ﷺ عدم وجوب الرجل في أداء دينه ودفع الصداق لزوجته من أبشع الذنوب ، فقال:" أَقذَرُ الذنوبِ الثلاثه: قَتلٌ، و حبسُ مهرِ المرأهِ و منعُ الأجير أجرَهُ"، للمرأة الحق بأن تعيش مع زوجها بمعروف و سلام ، أو أن تفارقه بإحسان و سلام ، وفي ضوء ذلك، فإنّ للمرأة أن تطلب الطلاق من زوجها إذا منعها أيّ حق من حقوقها الشرعية في النفقة و المضاجعة بالمبيت[٣]

وهذا يعني أنّ إثم التعدي على حق الزوجة وعدم دفع مهرها لا يقل عن إثم الانتحار، وللأسف فإنّ بعض الأتقياء لا يدركون أهمية هذه المسألة ويتجاهلونها ، ويعدّون المهر عقدًا ظاهريًا وخارجيًا ، ورغم استياء الزوجة ووجود موارد مالية والقدرة على دفعها ، ينتهكون حقوقها ؛ لذلك فالأفضل للرجل المخلص والملتزم أن يضع كل جهوده في اتجاه تسوية الدين ودفع مهر زوجته ، وإذا كانت الأحوال المالية جاهزة ، يسدد دينه في أقصر وقت ممكن ، قد قال القرآن الكريم ويؤكد على الرجل أن يؤتي المرأة صداقها- و هو مهرها- و

(١) سورة النساء، الآية : ٤
(٢) من وحي القرآن ، ١٨ / ٣٠٧.
(٣) المصدر نفسه ، ٤ / ٣١٢

لا يستغل مركزه القوي في الأسرة ليمنعها منه ؛ لأنّ ذلك يمثل عدوانا على مال الآخرين بدون حق[1]

١٨- شراء مستلزمات الزوجة :

من الطرق التي يمكن للرجل أن يعبر بها عن حبه وعنايته بزوجته وإسعادها ، هو شراء احتياجاتها وضروراتها ، قال رسول الله ﷺ عن هذا: " مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَاشْتَرَى تُحْفَةً فَحَمَلَهَا إِلَى عِيَالِهِ كَانَ كَحَامِلِ صَدَقَةٍ إِلَى قَوْمٍ مَحَاوِيج ".

وفقا للآيات القرآنية ، والعديد من الأحاديث التي جاءت من أهل البيت ﷺ ، فإنّ مكان الصدقة في سبيل الله وتأثيره على حياة الإنسان المادية والروحية لا يخفى على أي مسلم ، أو الحكماء ، بالتأكيد لم يقصد الرسول الكريم ﷺ المبالغة في هذا الحديث ولم يقل شيئًا مبالغًا فيه ، وكلماته تدل على أهمية جهد الرجل في تلبية احتياجات زوجته ، فإنّ الله جعل للمرأة الحق في طلب التعويض عن عملها المنزلي، فلم يلزمها الشارع ببذل عملها- حتى إرضاع ولدها- مجانا في النطاق القانوني[2] ، و ايضا لشراء مستلزمات المرأة.

قال الإمام السجّاد ﷺ في حديث آخر في هذا الموضوع: " لَئَنَ اَدْخُلُ السُّوقَ وَمَعِيَ دِرْهَمٌ اَبْتاعُ بِهِ لَحْماً لِعِيالى وَقَدْ قَرِمُوا اِلَيْهِ اَحَبُّ اِلَيَّ مِنْ اَنْ اُعْتِقَ نَسَمَةً".

بمزيد من الدقة والتفكير العميق يمكننا أن نرى في هذا الحديث أنّ مجهود الرجل لزوجته لا تعتمد على مقدارها، ولكن ما هو أكثر قيمة هنا وله درجة أعلى من الأهمية هو روح العمل ، وللتعبير عن أهمية هذا الأمر ، أعطى حضرة الإمام زين العابدين ﷺ مثالًا على فعل سهل للغاية ، ومنخفض القيمة على ما يبدو لشراء كمية صغيرة من ضروريات الزوجة واحتياجاتها ، على عكس الثمن الباهظ للغاية فعل تحرير العبيد من الأسر ، وليس هذان الشخصان فقط على قدم المساواة ، فقد عدّوا أنّه من الأفضل محاولة تلبية احتياجات أزواجهم وأسرهم ؛ لذلك ، لا ينبغي على الرجال أن ينظروا إلى هذه الفرصة التي منحهم

(١) من وحي القرآن ، ٧ / ٧٢
(٢) المصدر نفسه ، ٤ / ٣٣٣

الله إياها ، ورسالة توفير احتياجات أحد خدامه بدلًا من الزوجة ، فقط كعمل صغير ، وأن يمروا بها بسهولة.

١٩- توفير الحاجات العاطفية للزوجة :

من أكبر الفخاخ التي نشرها الشيطان في طريق البشر ، وخدع الكثيرين منذ بداية الخلق البشري ، هي الغريزة الجنسية والقوة الحسية للإنسان، إذ تكون هذه الغريزة من الغرائز الموجودة في كل إنسان منذ الطفولة ، وعندما يدخل مرحلة المراهقة ، تنمو هذه القوة الكامنة ببطء وعبر المرور بمراحل النضج في وجود الشخص ، فإنّها تتفتح وتجذبه دون وعي إلى الجنس الآخر ، فإذا تم إرضاء هذه القوة والاستجابة لها باستخدام قوة الإرادة والحكمة ، وفي إطار قوانين الشريعة الإلهية والدين الإسلامي المقدس ، فإنّها ستكون سببًا لسلام الإنسان وسعادته ، ولكن في حالة ذلك سيطرته خارجة عن سيطرة الإنسان وحكم العقل ، وإذا أخذ للوعي فإنه سيسبب العديد من المشاكل الاجتماعية والنفسية في حياة الإنسان ، قال الإمام علي عليه السلام: " مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا" ، فقد نجد في هذا، وأمثاله كيف انطلق الإسلام بالتشريع ليراعي الجانب العاطفي ، والاجتماعي للمرأة دون أن يفقدها إنسانيتها من موقع الحرية في أن تمارس حقها في الحزن بشكل طبيعي، كما تمارس حقها في الممارسات الطبيعية للحياة بطريقة معقولة [١]

من وجهة نظر الإسلام ، فإنّ الطريقة الشرعية الوحيدة لإشباع الغريزة الجنسية هي الزواج ، رغم أنّه في بداية الإسلام كان هناك طريق شرعي لملك اليمين (امتلاك عبيد وأسرى حرب) ، إلّا أنّ هذه المسألة اليوم مستحيلة ومرفوضة من وجهة نظر الشريعة الإسلامية ؛ لذلك فإنّ إشباع الحاجة الجنسية بأي وسيلة أخرى غير الزواج محرم وغير شرعي ، وإذا لم تكن إمكانية الزواج متاحة للإنسان فعليه أن يمارس التقوى الإلهية.

يجب أن يعرف الزوج والزوجة أنّ العلاقة الزوجية ليست فقط علاقة جنسية ، ولكنّها فضلًا عن ذلك ، هي أيضًا عامل لخلق اتصال روحي وعاطفي بين الاثنين ، وإنّ الشعور

(١) من وحي القرآن ، ٤ / ٣٣٧.

بالرضا عن العلاقة الزوجية أمر مهم للغاية ؛ لأنّه إذا كان أحد الزوجين مثل حيوان ولا يفكر إلّا في نفسه ومتعته الشخصية ولا يفعل الكثير للآخر ، فإنّ السعادة في حياتهم الزوجية لن تكون مستقرة ، وقد يختار كل منهما الاستمتاع بهذه المتعة بدلًا من الطريق الشرعي – تختار الأسرة طرقًا غير شرعية وتصاب بالذنب.

لا يأمر دين الإسلام الرجل بإشباع حاجاته الجنسية داخل الأسرة ومع زوجته فحسب، بل يمنحه أيضًا مسؤولية إشباع احتياجات زوجته ، بحيث يكون المجتمع في مأمن من ظهور هذه العلاقات في طريق الزنا والحرام ، ومن أهم الحقوق المحددة للمرأة في الحياة الزوجية مراعاة حقوقها الجنسية من قبل زوجها ؛ لأنّ الرجل قد يحقق متعته الجنسية بالزواج المؤقت والدائم ، ولكن وفقًا للشريعة الإسلامية ، فإنّ تعدد الازواج غير ممكن للمرأة ، والمرأة في إطار القواعد تسمح فقط بالزواج من رجل واحد ؛ لذلك فقد أدان دين الإسلام عدم إشباع زوجها لحاجة هذه المرأة ، وعدم مسؤولية هؤلاء الرجال وعدم عملهم في إشارة إلى حياة أحد المسلمين في زمن النبي صلى الله عليه و آله وسلم ، قال عن هذا الإمام الصادق عليه السلام:" جَاءَتِ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه و آله فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ عُثْمَانَ يَصُومُ النَّهَارَ ، وَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه و آله مُغْضَبًا يَحْمِلُ نَعْلَيْهِ حَتَّى جَاءَ إِلَى عُثْمَانَ فَوَجَدَهُ يُصَلِّي فَانْصَرَفَ عُثْمَانُ حِينَ رَأَى رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه و آله ، قَالَ لَهُ : يَا عُثْمَانُ لَمْ يُرْسِلْنِي اللهُ تَعَالَى بِالرَّهْبَانِيَّةِ ، وَلَكِنْ بَعَثَنِي بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّهْلَةِ السَّمْحَةِ أَصُومُ وَأُصَلِّي ، وَ لْمِسُ أَهْلِي فَمَنْ أَحَبَّ فِطْرَتِي فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي وَ مِنْ سُنَّتِي النِّكَاحُ" " إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفاً " ، فلا يتخلل الحديث أي كلام فحش، بما يتصل بالعملية الجنسية التي قد يتحدث بها بعض الرجال مع بعض النساء، للتدليل على قدرته على إشباع المرأة بطريقة فريدة أو ما أشبه ذلك، بل يتحدث معها عن صفاته الذاتية، و عن احترامه للحياة الزوجية و للمرأة[1] .

العديد من الأحاديث في الكتب الشيعية تتحدث عن توصية أهل البيت عليهم السلام بتلبية هذه الحاجة للمرأة من قبل زوجها ، وإلقاء اللوم على الرجال لفشلهم في أداء هذا الواجب ،

(١) من وحي القرآن ، ٤ / ٣٤٣ و ٣٤٤.

وروي عن صديق حضرة أبو الحسن الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ اسمه صفوان بن يحيى سأله: الرجل له زوجة شابة ومضي أشهر ، أو حتى سنة ولا يختلط بها ، لا يعني أنّه يريد أن يؤذيه لكن لديهم مشكلة ، هل هو مذنب في هذا؟ فأجاب الإمام الرضا ﷺ :" إِذَا تَرَكَهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ كَانَ آثِمًا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِإِذْنِهَا".

وكما أوضح الله تعالى وشرع بعض القواعد والقوانين للخطط الفردية لحياة الإنسان ، فقد أخذ في الاعتبار وأكد التفاصيل في مسألة مهمة مثل العلاقات الزوجية ، ولسوء الحظ، يقبل بعض الرجال بعلاقة سطحية وأنانية ، ويتجاهلون احتياجات زوجاتهم ، مما يتسبب في أضرار نفسية وجسدية لا يمكن إصلاحها لزوجاتهم ، قال الإمام الصادق ﷺ:"ثَلَاثَةٌ مِنَ الْجَفَاءِ أَنْ يَصْحَبَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَلَا يَسْأَلُهُ عَنِ اسْمِهِ وَ كُنْيَتِهِ وَ أَنْ يُدْعَى الرَّجُلُ إِلَى طَعَامٍ فَلَا يُجِيبَ أَوْ يُجِيبَ فَلَا يَأْكُلَ وَ مُوَاقَعَةُ الرَّجُلِ أَهْلَهُ قَبْلَ الْمُلَاعَبَةِ" ، وفي هذا الصدد قال الإمام علي ﷺ:"إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْتِيَ زَوْجَتَهُ فَلَا يُعَجِّلْهَا فَإِنَّ لِلنِّسَاءِ حَوَائِجَ".

في العلاقات الجنسية بين الأزواج ، يكون الإشباع العقلي والعاطفي أكثر تأثير من تلبية الاحتياجات الجسدية ، ويمكن القول أنّ الإشباع الجسدي المناسب سيتشكل من الإشباع النفسي والروحي المناسب ، ولكن إذا لم يولي كل من الزوجين العناية المناسبة لهذه النقطة ، فلا ينبغي توقع أنّهما سيحققان الفائدة المرجوة لأنفسهما ولأزواجهم ، طبعا هذه المسؤولية أكثر أهمية عند الرجل ؛ لأنّ دورة وعملية الإشباع النفسي والجنسي للمرأة أطول من دورة الرجل ولديها حساسية نفسية أكبر والتعبير عن المودة والعاطفة من أهم احتياجات المرأة في هذا الوقت ، والأفضل للرجال أن يغيروا هذه العلاقة من مجرد علاقة جسدية إلى علاقة صادقة ورومانسية ؛ لإشباع الحاجات الروحية والنفسية لزوجاتهم ، فقد يكون من حقها أن تتعرف طبيعة هذا الرجل الذي يريد أن يتزوجها، و قد يكون من حقه أن يسألها عن نفسها، و عن نظرتها إلى الحياة الزوجية، و عن طبيعة الظروف التي فرضت عليها الطلاق[1]

في عدة آيات من القرآن الكريم ، رويت قصة نزول آدم وحواء من السماء إلى الأرض ،

(١) من وحي القرآن ، ٤ / ٣٤٣ و ٣٤٤.

من هذه الآيات يمكن الاستنتاج أنّ الشيطان هو سبب ضلال آدم وحواء ، وهذه الآيات لا تضع مسؤولية خداع آدم على حواء ، ودور الشيطان في خداع آدم وحواء بالتساوي ، وهذه القصة مذكورة في سورة البقرة والاعراف وطه :" وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ "[1] ، ذكر الله سبحانه ما أمر به آدم عليه السّلام بعد ما أنعم عليه، من اختصاصه بالعلوم الّتي بها أوجب له الإعظام و أسجد له الملائكة الكرام[2]

وبهذه الطريقة يؤكد القرآن أنّ كلا من آدم وحواء خدعهما الشيطان ، وبتذوقهما لثمار الشجرة المحرمة ابتعدا عن الله.

في الآيات المذكورة أعلاه ، استعمل ضمائر التثنية أكثر من أربعين مرة ، وهذا يعني أنّ إغواء الشيطان وخداعه شمل آدم وحواء ؛ لذلك طُرد كلاهما من البلاط الإلهي.

كان الاقتراب من الشجرة المحرمة محرمًا على آدم وحواء ، وخدع الشيطان كليهما ليأكل ثمرها ؛ لذلك لا ذنب ولا لوم على عودة حواء.

بينما عدّ بعض المؤلفين أنّ حواء مسؤولة عن سقوط آدم وطرده من الجنة ، ومنهم الشجرة المحرمة وأكل آدم وحواء ثمرها ، مما يمثل صورة الرجل والمرأة وعلاقتهما الجنسية بين جميع المخلوقات، «الرجل طالب ، والمرأة مقاومة ومغرية" ويختلف دور الرجل وطبيعته بشكل أساسي عن دور المرأة وطبيعتها ، ووفقًا له ، فإنّ سبب كون المرأة مغرية هي أنّها خاضعة للسيطرة ولا يمكنه أن يحكم إلا بالإغواء.

بينما ترفض آيات القرآن صراحة التفكير المشترك للبشرية (الذي يجعل المرأة سبب ذنب الرجل وانحطاط الجنس البشري) ، وبهذه الطريقة ، في آيات القرآن ، فإن الشيطان يغوي آدم وحواء "كلاهما".

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣٥

(٢) زبدة التفاسير ، كاشانى، فتح‌الله بن شكرالله، و بنياد معارف اسلامى. ١٣٨١–١٤٢٣. ٧ ج. قم – ايران: مؤسسة المعارف الإسلامية. ١ / ١٢٥.

٢٠- التوازن بين حقوق المرأة ، وواجباتها :

على عكس الفكر الجاهلي ، فقد أرست الشريعة الإسلامية توازنًا بين الحقوق والواجبات ، وجعلت الرجل والمرأة يستفيدان من هذا التوازن ، وفي الجاهلية حُرمت المرأة من كثير من حقوقها بسبب جريمة كونها امرأة ، و بالإضافة إلى العديد من المهام الثقيلة على كتفيها ، وسورة النساء تُعدّ تنظيم تشريعي يتصل بالأسرة، و حقوق النساء ؛ لأنّها من السور المدنية الطويلة التي تعنى بشئون المرأة، و البيت، و الأيتام ، فهي تتحدث عن الحقوق التى فرضها الله للمرأة ، كالصداق، و الميراث، و إحسان العشرة[١]

في الآية ٢٢٨ من سورة البقرة ، اتخذ القرآن خطوة كبيرة نحو استعادة هوية المرأة وكرامتها: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ، وعلى هذا الأساس فقد أعطى الإسلام للمرأة حقوقها ، وكذلك الواجبات التي أوكلها إليها ، وقد عدّ معلقو المنار هذا البيان القصير والجذاب سببا للمساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق ، وهم يعتقدون أنّ هذه الآية هي المعيار في يد الرجل ، فهي تعطيه كيف يعامل زوجته في كل أمور الحياة ؛ لذلك يقول ابن عباس: حسب هدي هذه الآية أرتدي لنفسي و أقدم لزوجتي ما تلبس ، وأنّ لها الحق عليه عن طريق ما ملكته نفسها بالعقد، فكان التنصيف جمعا بين الحقين، فلا يشعر أي واحد منهما بالغبن ، وهذا هو حق المرأة الذي يجب على الرجل أن يدفعه إليها بعد الطلاق لأنّها استحقته بالعقد، لكن الطلاق كان بمنزلة الفسخ بالنسبة إلى النصف[٢]

وبما أنّ الرجال والنساء يتشابهون في الطبيعة ، والعواطف والتفكير والسلوك إلى حد ما، فإنّ لهم واجبات متبادلة تجاه بعضهم البعض ؛ لذلك يقول محمد عبده: هذه المرتبة والمكانة التي منحها الإسلام للمرأة ،لم يسبق لها مثيل في أي دين ، أو أمة ما ، بل إنّ الدول الأوروبية التي تحسب نفسها رائدة في الحضارة لم تعط المرأة أبدًا مثل هذه الكرامة والاحترام؛ لذا فقد حرمت المرأة من العديد من حقوقها غير القابلة للتصرف المسيح نشأ ، لكن البدع

(١) دراسات فى التفسير الموضوعى للقصص القرآنى ، عمرى، احمد جمال. ١٤٠٦-١٩٨٦، ١ ج ، قاهره - مصر: مكتبة الخانجي. ٧١

(٢) من وحي القرآن ، ٤ / ٣٥٢

والتشويهات تسببت في تحول المسيحية وخفضت مكانة النساء من مكانتهن الرفيعة.

الخلاصة

لقد كانت المرأة في كتب التّفسير جزءًا رئيسًا في فهم وتوضيح كثير من أحكام الإسلام التي ارتبطت بها، وفي سبيل توضيح ذلك وقفنا على حضورها في تفسيري الظّلال والأمثل، وقد رأينا "من البحث واستقراء تفسير الآيات المتعلّقة بالمرأة وتحليلها في كلا التّفسيرين" أنّ المرأة قد حظيت بمكانة عالية في الإسلام ، وكان بناء شخصيّتها والعناية بشؤونها جزءًا لا يتجزّأ من بناء المجتمع والإنسان، وقد لاحظنا أوّلًا في تفسير ظلال القرآن التفاتات سيد قطب لموضوعات شتّى تناولها القرآن، وأكد سيد قطب حضور الجانب النّفسي في كثير من الآيات التي وضعت حدودًا للمرأة في تصرّفاتها ولباسها، ولم تكن تلك الحدود تقليلًا من شأنها بقدر ما كانت حفاظًا عليها ورعاية لها وعنايةً بها ، ومن ثمّ تناول سيّد قطب مظاهر عدّة تظهر تكريم الإسلام للمرأة ، ورفع مكانتها على عكس ما كان سائدًا في الجاهليّة، ومن أبرز هذه المظاهر المساواة بين الرّجل والمرأة في التّكليف والجزاء، والمساواة بينهما من النّاحية الإنسانيّة، ولمّا كان ذلك كذلك فقد أقرّ الإسلام حقوق المرأة التي تعادل حقوق الرّجل، ومن أبرز هذه الحقوق: حقّها في اختيار الزّوج، حقُّها في الصّداق (المهر)، حقّها في الكسب والتّملّك، حقّها في الميراث ، ومن ثمّ فقد ردّ سيّد قطب على كثير من الشّبهات التي طالت الإسلام فيما يخصّ قضايا المرأة، ومن هذه الشّبهات: عدم المساواة بين الرّجل والمرأة، قوامة الرّجل، تعدُّد الزّوجات ، وأوضح الحكمة الرّبانية من كل قضيّة من هذه القضايا مؤكّدًا براءة الإسلام ممّا نسب إليه فيما يخصّ هذه الشّبهات.

ثمّ جاء تفسير الأمثل للشّيرازي ليكمل ما بدأبه سيد قطب من محاولة الرّبط بين القرآن الكريم والواقع الاجتماعي، فأكد الشّيرازي المكانة الرّفيعة التي أعطاها الإسلام للمرأة.

وقد عالج الشّيرازي قضايا المرأة بأسلوب منطقي علمي ينطلق من الواقع، متّبعًا أسلوب السّؤال الذي ينبع من شرائح المجتمع على اختلافها محاولًا الإجابة بأسلوب مقنع للعدو قبل الصّديق، وهو في ذلك يؤكّد الحقيقة التي جاء بها الإسلام وهي أنّ المرأة

والرّجل صنوان لا فرق بينهما إلّا في العمل والتّقوى.

المصادر و المراجع

١. القرآن الكريم

٢. الإعجاز التّمثيلي في آيات الوصف دراسة تحليلية، حسن رفاعي، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٩٤، ج١.

٣. البرهان في تفسير القرآن، السّيد هاشم البحراني، تحقيق: لجنة من العلماء، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٦، ج١، ص٢١٤.

٤. بناء شخصيّة المرأة المؤمنة في ضوء القرآن الكريم، أحمد الحافظ، أطروحة دكتوراه، دامعة النّيلين، السّودان، ٢٠١٨

٥. تحرير المرأة في المنهجين الإسلامي والغربي، الأشعل، عبدالله، مؤتمر تحرير المرأة في الإسلام المنعقد في الفترة من ٢٢-٢٣ فبراير، ٢٠٠٣.

٦. التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م.

٧. تفسير الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل مع تهذيب جديد، آية الله الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت" لبنان، ط١، ٢٠١٣، مج١.

٨. التّكريم الإلهي للمرأة من خلال تفسير الظّلال، محمد الحوري، منصور أبو زينة، الجامعة الإسلاميّة، غزة، ٢٠١٦.

٩. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، آبادي، الفيروز، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ت.

١٠. جمال المرأة وجلالها، آملي، جوادي، ط١، دار الهادي، بيروت-لبنان، ١٩٩٤.

١١. الحاجي، محمد عمر، شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنة، دار المكتبي، ٢٠٠٠م.

١٢. خطاب المرأة القرآني، سعاد الحكيم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٨.

١٣. سنن الترمذي، الترمذي، أبو عيسى محمد، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢، ج٤، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٨٣.

١٤. سنن الترمذي، الترمذي، محمد عيسى، كتاب اللباس، باب ما جاء في الحرير والذهب، حديث رقم ١٧٢٠، تحقيق: أحمد محمد شارك وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د.ت.

١٥. صورة المرأة في القرآن الكريم، إبراهيم، محمد ضياء الدين خليل، من أعمال المؤتمر الدولي السابع: المرأة في السلم الأهلي، طرابلس، ١٩-٢١ مارس، ٢٠١٥.

١٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن علي، باب الأخلاق، ج١٠، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار الريان، بيروت، ١٩٨٦.

١٧. فلسفة الأنوثة مقدمة لحقوق المرأة في الإسلام، الخامنئي، محمد، ترجمة حيدر نجف، دار المعارف الحكمية، ٢٠١٥.

١٨. المرأة والإسلام، الخرسا، غادة، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ط١، ١٩٨٠.

١٩. المرأة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بنت الهدى، دار الكتاب الإسلامي قم، ١٩٨١.

٢٠. مكانة المرأة في الحضارات القديمة، بورحلة، نوال، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع(٣١)، جامعة ورقلة، ٢٠١٧.

٢١. مكانة المرأة في القرآن الكريم والسُنَّة الصحيحة: الحقوق السياسية والاجتماعية والشخصية للمرأة في المجتمع الإسلامي، بلتاجي، محمد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر-القاهرة، ٢٠٠٠م.

٢٢. مكانة المرأة وواقعها قبل الإسلام ومقارنتها مع واقعها ومكانتها بعد الإسلام، أبو كشوة، مريم ابراهيم، من أعمال الملتقى الدولي الأول للسيرة النبوية الشريفة، السودان-الخرطوم، ٢٠١٣.

٢٣. مكانة وواقع المرأة في الحضارات القديمة ومقارنتها مع واقعها في الإسلام، بصال، مالية، مقال منشور في مجلة تافزا للدراسات التاريخية والأثرية، تيبازة، جامعة مرسلي عبدالله، ع(٠٠)، ٢٠٢١.

٢٤. موطأ الإمام مالك، أنس بن مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج٧، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥.

٢٥. وثيقة مؤتمر السكان والتنمية (رؤية شرعية)، الحسيني، سليمان جاد، سلسلة كتاب الأمة، الدوحة، ١٩٩٦.

٢٦. وسائل الشيعة، الحر العاملي، الجزء٢، باب٨٦، طبعة قديمة.

٢٧. وضع المرأة في الفقه والتشريع، بلبع، عبد السلام، دراسة قدمت في الحلقة (١٥٠)، جامعة الدول العربية، ١٩٧٢.